

الفرج بعد الشدة

[303] نفقة كانت في وسطى فاستأجرت منها مركوبا ولحقت بصاحبي وسلم إلى عزوجل * عن
ديسم بن إبراهيم بن شاذلويه المتغلب كان بأذربيجان لما ورد حضرة سيف الدولة يستنجد
على المرزبان بن محمد بن مسافر السلاط لما هربه عنها قال: إن بناحية أذربيجان واديا
يقال له الرأس شديد جرية الماء جدا، وفي أرضه حجارة كثيرة بعضها ظاهر من الماء، وبعضها
مغطى بالماء، وليس للسفن فيه مسلك، وله أجراف هائلة، وبه قنطرة يجتاز عليها المارة.
قال: كنت مجتازا عليها في عسكري فلما صرت في وسط القنطرة رأيت امرأة تمشي وتحمل ولدا
طفلا في القماط فزاحمها بغل محمل فطرحته على القنطرة فزعا فسقط الطفل من يدها إلى النهر
فوصل إلى الماء بعد ساعة لبعدها ما بين القنطرة وشفة الماء ثم غاص وارتفعت الضجة في
العسكر ثم رأينا الصبي قد طفا على وجه الماء، وقد سلم من تلك الحجارة، وكان الموضع
كثير العقبان ولها أوكار في أجواف هذا النهر، ومنها يصطاد أفراخها. قال: فحين ظهر
الطفل في قماطه صادف ذلك عقابا طائرا فرآه فظنه طعمة، وانقض عليه وشبك مخالبه في
القماط، وطار به وخرج إلى الصحراء فطمعت في تخليص الطفل فأمرت جماعة أن يركضوا وراء
العقاب ففعلوا وتبعتهم بنفسى لمشاهدة الحال فإذا العقاب قد نزل إلى الأرض وابتدأ يمزق
قماط الصبي ليفترسه فحين رآوه صاحوا بأجمعهم وقصدوه ومنعوه عن الصبي فطار وتركه على
الأرض فلحقنا الصبي فإذا هو سالم ما وصل إليه جرح وهو يبكي فقايناه حتى خرج الماء من
جوفه وحملناه سالما إلى أمه. حدثنا أبو محمد بن الحسن بن المطهر الكاتب المعروف
بالحاتمي قال: رأيت بمصر رجلا يعرف بابن التماسح. فسألت جماعة من أهل مصر عن ذلك
فقالوا: هذا وطئ التماسح أمه فولدته. فكذبت ذلك وبحثت عن الخبر. فأخبرني جماعة من عقلاء
أهل مصر أن التماسح بها يأخذ الناس في الماء من الشطوط القريبة فيفترسهم وربما أخذهم
إلى جباله، وهى جبال حجارة فيها مفرات إلى النيل لا يصل إليها الماشي ولا سالك الماء
لبعدها عن الجهتين فيتسلق